الطبيب الاصفهانـي ومدحيّته في المهدي المنتظر (عج)*

دكترحسين مرعشي**

دكتوراه في اللغة العربيّة وآدابها من جامعة القدّيس يوسف (بيروت)

(١٩٣ - ٢٢٠)

تاريخ الاستلام: ٩٠/١٠/٢٧؛ تاريخ القبول: ٩٠/١٠/١٨

الملخص

بدأتْ بوادر إحياء اللغـة العربيّـة فـي إيـران بعـد أن اتّصـل الملـوك الصـفويّون بـالحوزة الشـيعيّة فـي جبـل عامـل بلبنـان، ودعـوا جمّـاً غفيـراً مـن علمائهـا للقـدوم إلـى إيـران لـدعم المـذهب الإمـامي، وإرساء أسسه فيها. وكان لهؤلاء الفقهـاء الوافـدين إلـى إيـران وتلاميـذهم الفضـلُ فـي إحيـاء هـذه اللغـة وانتشارها فيهـا. وكـان الطبيـب الأصـفهاني، مـن شـعراء العصـرَين الأفشـاري والزنـدي وحكمـاء تلـك الفتـرة البـارزين، واحـداً مـن الـذين درسـوا عنـد هـؤلاء الفقهـاء المهـاجرين أو تلاميـذهم فـي الحـوزة العلميّة بأصـفهان. وللشـاعر أشـعار عربيّـة، منهـا مدحيّتـه فـي المهـدي المنتظـر (عـج). ودرسـنا هـذه القصيدة دراستَين: داخليّـة وخارجيّـة. وفـي الدراسـة الداخليّـة التـي تشـكّل أسـاس البحـث حاولنـا أن نـدرس الظـواهر الأسـلوبيّة التـي تركـتْ للشـاعر بصـمتها الشـعريّة المتميّـزة، وذلـك وفـق مسـتويات أربعـة: عروضـي و موسـيقي، صـرفي و تركيبـي، معجمـي، و بلاغـي. وقـد تجلّـت الأسـس الجماليّـة للقصـيدة فـي مسـتويات ثلاثـة: موسـيقي و تركيبـي و بلاغـي. واعتمـدنا فـي الدراسـة العموديّـة للقصيدة (دراسة المستويات) على المنهج البِنيوي الشكلي.

الكلمات الدليلة: الطبيب الأصفهاني، المهدي المنتظر، المحور، المستوى، التناصّ، التأثير والتأثّر.

المقدّمة

---

* بحث مستخرج من أطروحة المؤلّف لنيل الدكتوراه عنوانها: الشعر العربي الديني بإيران منذ العصر الصفوي الثاني حتّى عصر القاجار.

** E-mail: hosein_marashi@yahoo.com

Archive of SID

www.SID.ir

بدأتْ بوادر إحياء اللغة العربيّة في إيران بعد أن اتّصل الملوك الصفويّون (٩٠٧هـ.ق/ ١٥٠٢م – ١١٤٨هـ.ق/ ١٧٣٦م) بعامّة، والشاه عبّاس الصفوي (١٠٣٨هـ.ق/ ١٦٢٩م) بخاصّة، بالحوزة الشيعيّة في جبل عامل بلبنان ودعوا جمّاً غفيراً من علمائها للقدوم إلى إيران لدعم المذهب الإمامي و توطيد أساطينه وإرساء أسسه وإحيائه فيها. وكانت هذه الحوزة تُعتبر أكبر مدرسة دينيّة للفكر الشيعي الإمامي في تلك الفترة. وقد كان لهجرة فقهاء الشيعة من لبنان، وبُعيد ذلك من البحرين، إلى إيران، واهتمامهم بالمدارس الدينيّة الّتي أرسوا قواعدها في عاصمة الصفويّين أصفهان، و في المدن الإيرانيّة الأخرى، الدورُ الأساس في تمهيد و إعداد أرضيّة صلبة، و في نفس الوقت خصبة، لإحياء اللغة العربيّة فيها. وإذا كان هؤلاء الفقهاء هم الرُّوّاد الأوائل لهذه اللغة في العصر الصفوي بإيران، فقد كان لتلاميذهم الّذين نهلوا من معينهم في الحوزات العلميّة الفضلُ في نشر اللغة العربيّة ورواجها فيها، وذلك في الحقبة الّتي تلتْ ذلك العصر أي العصرَين الأفشاري (١١٤٨هـ.ق/ ١٧٣٦م – ١١٦٣هـ.ق/ ١٧٥١م)، والزندي (١١٦٣هـ.ق/ ١٧٥١م - ١٢٠٩هـ.ق/ ١٧٩٤م). وكان شاعرنا الطبيب الأصفهاني (١١٩١هـ.ق/ ١٧٧٧م) واحداً من هؤلاء الّذين درسوا في الحوزة العلميّة بأصفهان، وأخذوا اللغة العربيّة على الفقهاء المهاجرين أو تلاميذهم.

و للشاعر الأصفهاني أشعار عربيّة عدّة تغزّل في أكثرها، و هى تشكّل مادّة ثريّة وجيّدة لدراسة الغزل والنسيب في هذه الفترة. ومنها قصيدته في مدح الإمام الثاني عشر (عج) ابن الإمام العسكري (ع). و ارتأينا دراستها لأنّها تمثّل بحقّ صورة صادقة للغزل في ذلك العصر، ولأنّها تنطوي على مقدّمة نسيبيّة أطول بكثير من الغرض الأساس وهو المديح، ولأنّها - حسب علمنا و وفق ما تعرّفنا عليه من مصادر - هى المدحيّة الوحيدة في المهدي المنتظر (عج) في العصرَين الأفشاري والزندي، ولأنّها بإمكانها أن تُميط اللثام عن جوانب مختلفة من العقيدة المهدويّة في تلك الفترة. فضلاً عن أنّنا يمكننا أن نتعرّف على ثقافة

Archive of SID

www.SID.ir

الشاعر وموهبته الشعريّة التي وظّفها في خدمة تلك الثقافة.

و قد عالجنا موضوع بحثنا وفق دراستَين: دراسة داخليّة وقد اتّخذنا فيها المنهجَ البنيويَّ الشكلي لدراسة المستويات؛ ودراسة خارجيّة واعتمدنا فيها منهجَين، هما: منهج تاريخي، وذلك حين دراسة حياة الشاعر والتعريف بأعماله الشعريّة؛ ومنهج موضوعاتي، وذلك عند تحديدنا لبنية (نطاق) القصيدة وأغراضها ومضامينها.

و للتعرّف إلى خصائص النسيب عند الشاعر الأصفهاني والعقيدة المهدويّة التي كان يذهب إليها و ثقافته و موهبته الشعريّة علينا أن نردّ على سؤال جوهري، وهو: **ما هي المميّزات الأسلوبيّة للقصيدة؟** وللإجابة عن هذا السؤال اعتمدنا على نظام المستويات الأربعة، مصنّفةً من أبسطها إلى أشدّها تعقيداً، وهي: العروضي والموسيقي، والصرفي والنحوي، والمعجمي، والبلاغي، من دون إهمال التناصّ ووظائفه معنىً وأسلوباً.

نودّ أن نشير هنا إلى أنّنا قد استندنا إلى بعض المجموعات المخطوطة غير المرقّمة فلذلك اضطررنا إلى ذكر اسم المجموعة من دون الإشارة إلى الصفحة التي راجعناها.

الطبيب الاصفهاني

هو محمّد بن عبدالـله (١١٩١هـ.ق/ ١٧٧٧م)، المعروف بالأصفهاني، عالم رياضي، وطبيب خاصّ لبلاط كريم خان زند (١١٩٣هـ.ق/١٧٧٩م) إبّان حكمه بشيراز (١١٦٣هـ.ق/١٧٤٩م.- ١١٩٣هـ.ق/ ١٧٧٩م). (آقابزرگ الطهراني، ١٤٠٨هـ.ق: ج٦، ٧٨٠) وُلد في مدينة جَهرُم في إقليم فارس، ودرس بأصفهان، وبسبب إقامته الطويلة هناك عُرف بالأصفهاني. (فرصت الدولة الشيرازي، ١٣٦٢هـ.ش: ١٠٥) والأصفهاني هو الذي رسم خريطة جامع الوكيل بشيراز وحدّد قبلته. (م.ن.) وكان حسنَ الخطّ. (الأمين، ١٩٨٦: ج١٠، ٨١) سُمّي بنصيرالدين الثاني أو نصيرالدين محمّد الثاني لتضلّعه في العلوم المختلفة.

Archive of SID

www.SID.ir

أقوال العلماء فيه

إنّ مؤرّخي الأدب والمترجمين للطبيب الأصفهاني، وإن لم يفصّلوا شرحَ حاله وترجمةَ أحواله على نحو يليق بمقامه، ولكنّهم لم يقصّروا في الإطراء عليه والتصريح بجميل فضله وعلمه المتدفّق وسطوع فضله الغزير وكونه من الحكماء البارزين والأطبّاء الحاذقين. وفيما يلي نشير إلى أهمّ ما قال فيه معاصروه.

وقد نعته آذربِيگدلي (۱۱۹۵هـ.ق/ ۱۷۸۱م) بـ"مسيح الدهر وجالينوس العصر" لتضلّعه في الطبّ. (آذربِيگدلي، ۱۳۷۸هـ.ش: ۶۵۹)

و قد وصفه الزُّنوزي (۱۲۱۸هـ.ق/ ۱۸۰۳م) في مجموعته رياض الجنّة ما نصّه: «كان عالماً، كاملاً، عارفاً، فاضلاً، متكلّماً، حكيماً، مهندساً، فيلسوفاً، محقّقاً، مدقّقاً، ماهراً، بل مؤسّساً في أكثر الفنون العقليّة والنقليّة والرياضيّة، سيّما في فنّ الطبّ علماً وعملاً. وكان أديباً، منشئاً، شاعراً بالعربيّة والفارسيّة، مُجيداً، بليغاً، فصيحاً، معاصراً، إلّا أنّه ما تشرّفتُ بزيارته وكان – رحمه الـله- عند السلطان كريمخان الزند، مشغولاً بأمر الطبابة في بلدة شيراز، محترماً ومعزّزاً عنده وعند الناس، غاية الاحترام والإعزاز، إلّا أنّه كان شاكياً من الدهر الخوّان؛ لأنّ أمر الطبابة وخدمة السلطان، كان غير مناسب بشأن ذلك الفاضل العظيم الشأن وكان قابلاً ومستعدّاً للتأليف والتصنيف في كلّ فنّ في نهاية الحسن والكمال؛ إلّا أنّه بسبب الاشتغال بتلك الأشغال، لم يجد الفرصة له ولا مجال.» (الزُّنوزي، رياض الجنّة، ۲۰۱۱م: ج۵، ۱۶۰و۱۶۱) و وصفه في مجموعته الكشكول قائلاً: "مفخر أهل عصره في العلم والحِكَم، ومظهر البدائع في حسن الخلق والشِيَم، الميرزا نصيرالدين الأصفهاني الطبيب – أنار الـله برهانه". (الزُّنوزي، الكشكول) كما نعته في مجموعته الثالثة بحرالعلوم بـ"مسيح الدهر" لمهارته وخبرته الفائقة في الطبّ أيضاً. (الزُّنوزي، بحرالعلوم، ص۲۲۲)

و وصفه عبدالرزّاق الدُّنبُلي (۱۲۴۳هـ.ق/ ۱۸۲۸م) بـ «مسيح الملّة والدين وأفلاطون الدهر وبطليموس العصر» (الدُّنبُلي، ۱۶۱/۱) لمكانته العالية في الطبّ والحكمة والفلسفة، وقال فيه:

www.SID.ir

«الكاتب البارع الشاعر الطبيب النطّاسي... الفاضل اللبيب والكامل الخطيب الأريب، كان في الحقيقة خاجة نصيرالدين الثاني، وكان مشاراً إليه في أقسام الحكمة من الهيئة والرياضيات والطبّ الجسماني والروحاني من الإلهي والمشائي والإشراقي فيلسوفٌ حاذق سيّد أيد صديق شفيق تضرب إليه أكباد الإبل وله إفادة وإفاضة في تقرير العلوم ماهرٌ في علم الطب. و بسبب مهارته في الطبّ وغيره طُلب من دارالسلطنة بأصفهان إلى شيراز، إلّا أنّه كان يطمح إلى الوزارة... ولعلّة عدم تميّز سلطان العصر وعدم مساعدة الدهر وعدم وصول أبناء الزمان بدقائق الكمالات النفسانيّة كان يتأسّف على حرمانه من أوطانه وإخوانه.» (الدُّنبُلي، ١٣٤٩هـ.ش: ج١، ١٦٢و١٦٣)

أعماله الشعريّة

و قد أكّد فرصت‌الدولة الشيرازي (١٣٣٩هـ.ق/ ١٩٢١م) – و هو من أحفاد الطبيب الأصفهاني ومؤلّف كتاب آثار عجم - على أنّ جدّه ليس له ديوان شعر وإنّما تبعثرتْ قصائده في ثنايا بعض المجموعات الأدبيّة. (فرصت‌الدولة الشيرازي، ١٢٦٢هـ.ش: ١٠٦) وبدورنا قد عثرنا على عدد من هذه القصائد، ونأمل أن نصطنع له ديواناً إذا ما توفّرنا أكثر فأكثر على أشعاره الأخرى، وهي كالآتية:

١- قصيدة في مدح النبي محمّد (ص) (٧٥ بيتاً)

قد وردت هذه القصيدة في المجموعتَين الأدبيّتَين للزُّنوزي (١٢١٨هـ.ق/ ١٨٠٣م) هما من مقتنيات مكتبة مجلس الشورى الإسلامي بطهران، وقد وردتْ بأكملها في جُنگ [مجموعة] مهدوي التي طبعت مصوّرة، كما طبع بعضها ضمن كتاب تجربة الأحرار وتسلية الأبرار لعبدالرزّاق الدُّنبُلي (١٢٤٣هـ.ق/ ١٨٢٨م)، و أوّلها:

إذا ارتبعتَ بوادي الحيّ في العَلَمِ قِف في الربوع على ربعٍ بذي سلمِ

٢- قصيدة في مدح الإمام علي بن أبي طالب (ع) (٦٦ بيتاً)

وجدناها في نفس المجموعات الأدبيّة السابقة، وقد وردتْ بأكملها في كتابي رياض الجنّة للزُّنوزي نفسه وتجربة الأحرار وتسلية الأبرار للدُّنبُلي، ومطلعها:

Archive of SID

www.SID.ir

هذي منـازلُ خُلّاني وجيـراني يا صـاحبَيَّ بذكراهم أجيـراني

٣- قصيدة في مدح المهدي المنتظر (عج) (٤٩ بيتاً)

و هى موجودة في كتابَي الزُّنوزى السابقَين أيضاً، واستهلّها الشاعر بهذا المطلع:

أيا مَن يداوي الناسَ دعْـني ودائيـا علاج مريض الهجر ليس التداويـا

٤- قصيدة غزليّة (٤٨ بيتاً)

في مجموعة رقم ٧١٠١ بمكتبة مطهّري (سِپَهسالار) بطهران قصيدة غزليّة للأصفهاني تشبه القصيدة السابقة. تبدأ القصيدة بالأبيات التالية:

ألا يا طبيبَ الناس دعْني ودائيـا علاج مريض العشق ليس تداويـا
نسيمُ نواحـي أصفهان دوائيـا و وصلُ أحـبّاء العراق شفائيـا
أيا حارسي شيراز خلّوا عن الصبا إذا جاوزتْ في السير تلك النواحيا

٥- قصيدة أرسلها إلى تلميذه في الطبّ والفلسفة، وصديقه وصاحبه في أصفهان، الشاعر أحمد الحسيني المعروف بـ هاتف الأصفهاني (١١٩٨هـ.ق/١٧٨٣م) (١٤ بيتاً)

و هى موجودة في المجموعات الثلاث السابقة ومجموعة مطهّري، إضافة إلى كتاب رياض الجنّة المطبوع، ومطلعها:

تناءيتَ عنّي يا خليليَ غاويا وغادرتَ ناراً تلتظي في فؤاديا

ونجد في جُنگ [مجموعة] مهدوي إشارة إلى سبب إنشاد القصيدة إذ قال صاحب المجموعة نقلاً عن خطّ الطبيب ما نصّه:

«وله، وقد كتب إلى بعض المخاديم من السادات بعد وصول مكتوب منه مشتمل على قصيدة بليغة بهذا البحر وهذه القافية مطلعها هذا:

تجافى طبيبي نائياً عن دوائيا أخلّاي خلّوني أبيتُ ودائيا»

Archive of SID

www.SID.ir

(جُنگ مهدوي، ص٩)

و هذا البيت مطلع قصيدة غزليّة (٤٧ بيتاً) لـهاتف الأصفهاني أوردها الدُّنبُلي في تجربة الأحرار، وقال فيه: "قال تمديحاً للحكيم الأعظم والصدر المفخّم والفاضل الأكرم هو الطبيب اللبيب الأريب ميرزا محمّدنصير الأصفهاني". (الدُّنبُلي، ١٣٤٩هـ.ش: ج١، ٣٢٦)

وردت القصيدة ناقصةً في ديوانه الذي جمعه وحيد دستجردي، وأوردها الدكتور فيروز حريرچي، كما وردت في الديوان، في كتابه عن أشعار هاتف العربيّة. (حريرچي، ١٩٦٥: ٥٦)

٦- قصيدة كتبها إلى بعض أصدقائه (نحتمل كونه هاتفاً) في أصفهان (١٧ بيتاً)

وجدناها في مجموعتَي الزُّنوزي وجُنگ [مجموعة] مهدوي، واستهلّها الشاعر قائلاً:

زمان الجوى لمّا تمطّى بصلبه «و أردفَ أعجازاً وناءَ بكَلكَلِ»

و المصاريع الأخيرة من هذه القصيدة كلّها لامرئ القيس من معلّقته المشهورة.

٧- مقطوعة بعثها إلى أحد أصدقائه (نحتمل كونه هاتفاً أيضاً) وكان منزله قريباً من نهر زَندَرودَ في أصفهان (٣ أبيات)

و قد وردت المقطوعة في المجموعات الثلاث السابقة وكتاب رياض الجنّة، وهي:

أيـا نسيمَ الصبا إن تلقَ جيرانَنا بزَنـدَرودَ حياتِ الوارد الصادي

فاقـرأ لصاحبنا في قرب شاطئه ما شابهَ الماءَ من نظم ابن عُبّـادِ

«يـا أصفهانُ سُقيتِ الغيثَ من بلدٍ يا زَندَرودَ سُقيتَ الغيثَ من واد»

إنّ من يتأمّل هذه القصائد يجد لها خصائص مشتركة، ومنها: اهتمام الشاعر بالنسيب وذكر أحبّته وأخلّائه وديارهم (أصفهان وزَندَرود) أو تكرار الأبيات والمضامين أو اشتراكها في الوزن والقافية نأمل أن ندرسها في بحث لاحق بإذن الـله. وما يهمّنا هنا قصيدة الطبيب الأصفهاني في مدح المهدي المنتظر (عج) وخصائصها الأسلوبيّة.

Archive of SID

www.SID.ir

مدحيّته في المهدي المنتظر(عج)

نبدأ دراسة المدحيّة بقراءتها قراءة سريعة. ولذلك سندوّن النصّ موزّعاً على قسمَين (مقطعَين) متنوّعَين لكنّهما متآلفَين ومتّحدَين على تشكيل بنية للنصّ متكاملة. كما نُبرز المحاور المختلفة في كلّ قسم (مقطع) من خلال ترقيمها أبجديّاً كي يساعد ذلك على وعي بعض جوانب الدراسة. ومن ثمّ نشير إلى المحاور الثانويّة لكلّ محور وندرس الظواهر الأسلوبيّة لكلّ قسم ومحور على أساس نظام المستويات الأربعة. ونسعى أن نجد جسراً يربط أسلوبَ القصيدة الشعريَّ بالمضامين التي يريد الشاعر إبرازها.

القسم الأوّل: النسيب

أ- ١. أيا من يداوي الناس دعْني ودائيا علاج مريض الهجر ليس التداويا

٢. دواؤك عن داء النَّوى ليس شافيا وما بيَ غير الهجر إن كنتَ داريا

٣. نسيمُ نواحي زَندَرودَ دوائيا وصحبة جيران العراق شفائيا

٤. أيا معشرَ الحُرّاس خلّوا وربّكم نسيمَ الصبا إن كان تلك النواحيا

٥. لعلّ الصبا تجلو إذا ما تنسّمت عليّ بريّا أرضهم همّ باليا

ب-٦. بريدَ الحمى إن تأتِ يوماً ديارهم فبلّغ إليهم ثمّ بلّغ سلاميا

٧. سلامَ اشتياقٍ من فريد مهاجر يبيتُ عن الأوطان والأهل نائيا

٨. سلاماً يؤدّي بعضَ وجدي ولوعتي إلى ساكني أرضِ العراق دياريا

٩. سلاماً غدا يتلو من الهمّ آية سلاماً أتى عن حرقة القلب حاكيا

١٠. فإن سألوا عنّي وعن حال مهجتي فقُل بعد تبليغ السلام، مناديا:

١١. إليكم لكم منكم عليكم، أحبّتي حديثي دعائي ذكرُ قلبي ثنائيا

١٢. توقّدُ نيرانُ الهوى بين أضلعي ومرّ عليها العمر وهْي كما هيا

Archive of SID

www.SID.ir

١٣. تشوّقتُ - في آناء يومي وليلتي- إليكم، كمَن يدنو إلى الماء صاديا
١٤. سمعتُ بذكراكم فصرتُ كأنّني تجرّعتُ أقداحاً من الخمر حاويا
١٥. حكتْ مقلتي سودَ السحائب كلّما تذكّرتُ أيّاماً مضتْ ولياليا
١٦. فسقياً لعيشٍ قد مضى في وصالكم وتبّاً لعمرٍ كان في الهجر باقيا
١٧. إلى الله قد أشكو زماناً معانداً يعاوقُني عن نيل أقصى مراديا
١٨. سقاني بكأس الهجر ما مُرّ طعمُه سقاه بها الرحمن ما قد سقانيا
١٩. ألا ليت شعري هل يعود الذي مضى وهل قدّر الرحمن فينا تلاقيا ؟
٢٠. وهل لصريع الحبّ في الحيّ عودة ؟ وهل لسليم الهجر مَن بات راقيا ؟
٢١. وهل كان بالماضين ما بي من الهوى وهل في النَّوى باتوا بحال كحاليا ؟
٢٢. غدا الدهر للأحباب داءً فليتني عرفتُ لهذا الداء شخصاً يداويا
٢٣. ألا يا أخلّائي ! إذا ما ذكرتكم فو الله ما أدري الضحى عن عشائيا
٢٤. أقول وإن كان الورى في مقالتي يظنّونني في مذهب الودّ غاليا:
٢٥. عليّ إذا جاد الزمان بمُنيتي زيارتكم يا قوم بالرأس جاثيا
ج-٢٦. قد استغرب النالون طُرّاً صبابتي ووجدي ولهفي واضطرابي لما بِيا
٢٧. يقولون: دَع شكوى الفراق إذ الورى تعدّ الهوى داءً على المرء طاويا
٢٨. فوا عجبا ! حتّى يعيّر معشر محاسن أمر المرء ظنّوا مَساويا
٢٩. ألا أيّها النّصّاحُ ! بالله ربّكم ذَروا النصحَ عنكم «لا عليّ ولا لِيا»
٣٠. فهل يتسلّى بعدُ قلبي، وما أرى صديقاً شفيقاً بل «عدوّاً مُداجيا» ؟
٣١. ويا معشرَ العُذّال كم تعذُلونني دَعوا واسمعوا ما قلتُ بالصدق آتيا:

Archive of SID

www.SID.ir

٣٢. إذا كان بـالي عن أخلّاي خاليـا فكان- إذن والـله - بالي وباليـا
٣٣. قفا نبكِ عند الرسم إذ قد بـدا لِـيـا بيوتٌ عن الخُلّانِ بـاتت خواليـا
٣٤. أ لا تسألان الدورَ: أيـن أحبّـتي ؟ وأيـن أناسٌ بينهم عشتُ راضيـا ؟
٣٥. فو الـله صارت ليلة في فراقهم لأيّام وصل قد مضين تلاقيـا
٣٦. أيا دهرُ مهلاً بعضَ جدّك في الأذى فحتّـامَ تـرمي بـالسهام فؤاديـا
٣٧. فكم تستعين الهجر فيـما تريده كفى بك للخُلّانِ خصماً معاديـا

التخـلّـص

٣٨. إلى الـله أشكو منك يا دهرُ ساكنا كفى ما بدا في علمه عن مقاليـا

القسم الثانـي: المديح

٣٩. وأستنصر المدعوّ في كلّ حاجة ونوراً سيُبدي الحقّ بالقسط قاضيا
٤٠. مَن اختاره الرحمن للخلـق مرشـدا كأسلافـه أعـلامَ ديـن عـواليـا
٤١. بُـدوراً لأفلاك الـمَعـالي لوامعـا نجوماً على أوج الكمـال دراريـا
٤٢. لِرايـات عـزّ رافعـاً بعـد رافـع لِأركان مجـد بـانيـاً ثمّ بـانيـا
٤٣. ومَـن بالهدايـات إمامـاً وحجّـةً ومَن في الورى يُدعى أميراً وناهيا
٤٤. عن الحقّ بالسُّمر العَـوالي مدافعـا إلى الـله بالبيـض القـواطع داعيـا
٤٥. يجرُّ على الـجُرَد الجيـاد كتـائبـا بنصب العَـوالي يخفضون الأدانيـا
٤٦. يصيـدون أبطالَ الرجال كأنّهم ليوثٌ تصيـد الشادنات الحواريـا
٤٧. ومَن في الورى أدعوه جهراً وخُفيةً أكرّر مِن نظم الرضيّ مبـاهيـا:
٤٨. «أيـا عَلَمَ الإسلامِ والمجدِ والعُلا رضيـناك مهديّـاً لدين وهاديـا»

Archive of SID

www.SID.ir

٤٩. «عليك سلام الـله أنّي لناظر إليك وراجٍ منك نيلَ رجائيا»

***

نظم الشاعر الأصفهاني القصيدة عندما كان طبيباً في بلاط كريم خان زند (١١٩٣هـ.ق/ ١٧٧٩م) في عاصمته شيراز، وذلك بعد مدّة طويلة قضاها في أصفهان. ويبدو من القصيدة أنّه كان يتشوّق إلى أصفهان وزيارة أصدقائه وأحبّائه هناك.

و للقصيدة تسعة وأربعون بيتاً، وهي تقسَّم إلى قسمَين أساسيّين: **النسيب فالمديح**:

النسيب: الأبيات ٣٧-١

التخلّص: البيت ٣٨

المديـح: الأبيات ٤٩-٣٩

و قبل أن نبدأ دراستنا حول المدحيّة نتناول موضوع طول قسمَيها الأساسيّين. فإنّها تنطوي على مقدّمة نسيبيّة طويلة تربو أبياتها على سبعة وثلاثين بيتاً أي ثلاثة أرباع أبيات القصيدة،وكأنّ الشاعر أراد بذلك إبراز موهبته الشعريّة. وهناك من النقاد مَن يرى عدم جواز إطالة الممادحة لأنّها تُنسي أوّلها؛ وقد نقل ابن رشيق (٤٥٦هـ.ق/ ١٠٦٤م) عن أحدهم: "و قد حُكي عن عمارة أنّ جدّه جريراً قال: يا بَنيّ ! إذا مدحتم فلا تُطيلوا الممادحة فإنّه يُنسي أوّلها ولا يحفظ آخرها، وإذا هجوتم فخالفوا". (ابن رشيق، ٢٠٥/٢) ورأى ابن رشيق نفسُه أنّ " من عيوب هذا الباب أن يكون النسيب كثيراً والمدح قليلاً". (م.ن.)

و بعد هذه الإطلالة السريعة نواصل بحثنا في دراسة القصيدة بَدءاً من القسم الرئيسي الأوّل أي النسيب ودراستَيه: **الداخليّة والخارجيّة**.

أوّلاً - النسيب

يحوي القسم الأوّل من القصيدة سبعة وثلاثين بيتاً تدور معانيها حول ثلاث ثنائيّات ضدّيّة:

- الشاعر/ الـمرض (الأبيـات ٥-١)

www.SID.ir

- الشاعر/ هجر الأحباب (الأبيات ٢٥-٦)
- الشاعر/ النُّصّاح والعُذّال (الأبيات ٣٧-٢٦)

و على أساس هذه الثنائيّات الضدّيّة يقسَّم القسمُ الأوّل إلى ثلاثة محاور رئيسيّة تدور المعاني فيها حول موضوع أمنيّة الشاعر وهي الوصول إلى أصدقائه وديارهم.

أ- الشاعر المريض

تشكّل الأبيات الخمسة الأولى المحورَ الرئيسيَّ الأوّل إذ يشير فيه الشاعر إلى أنّه مريض، إلّا أنّه يطلب من طبيبه – وربّما يعني بالطبيب نفسه – أن لا يصرّ على علاجه وتناول الأدويه، لأنّه مريض بسبب ابتعاده عن أصدقائه وأحبّائه، لأنّهم في أصفهان إذ عاش الشاعر فترة طويلة من عمره، وهو في بلاط كريم خان زند بشيراز. ويرى الأصفهاني أنّ دواء مرضه هو تجديد زيارة أصدقائه وإخوانه.

و من الناحية الأسلوبيّة هناك أمور أفاد منها الشاعر ليوضّح هذا المعنى:

١- في المستوى الموسيقي نشير إلى الأمور التالية:

- وظّف الشاعر الموسيقى الخارجيّة لمطلع يائيّة المتنبّي (٣٥٤هـ.ق/ ٩٦٥م) المشهورة في مدح كافور الإخشيدي (٣٥٧هـ.ق/٩٦٨م) ليؤكّدَ على اشتداد أمره. ومطلع اليائيّة هو الآتي:

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا وحسبُ المنايا أن يكنَّ أمانيا

(المتنبّي، د.ت: ج٢، ٥٧٨)

و ربّما يرجع ذلك إلى أنّ الظروف التي رافقتْ إنشاد القصيدتَين ظروف مشركة، وكان الشاعران حينَه مصابَين بمرض الهجر والحرمان من أوطانهما وإخوانهما حيث لا يجدان لمرضهما علاجاً. فعندما فارق المتنبّي سيف‌الدولة الحمداني (٣٥٦ هـ.ق/ ٩٦٧ م) ورحل إلى دمشق أحسّ بخيبة أمل شديدة فصارت أمنيّته هي المنيّة إلى أن كاتبه كافور بالمسير إليه؛ فعندما ورد مصرَ أخلى له داراً وخلع عليه وحمل إليه آلافاً من الدراهم فقال يمدحه وهو قد وجد دواء دائه.

Archive of SID

www.SID.ir

- أورد الشاعر الأبيات الثلاثة الأولى ومصراعَيها مقفّاة، وتلك ظاهرة قلّما نجدها في بدايات القصيدة. نعم، قد نجدها في وسط القصيدة كالبيتَين الثاني والثلاثين والثالث والثلاثين من القصيدة نفسها، وفي البيتَين التاليَين من قصيدة امرئالقيس (٧٥ ق.هـ/ ٥٤٥م) المعروفة:

أ فاطمُ مهلاً بعض هذا التدلّلِ وإن كنتِ قد أزمعتِ صرمي فأجمِلي

أغرّكِ منّي أنّ حبّكِ قاتلي وأنّكِ مهما تأمُري القلبَ يفعـلِ

(الأصفهاني، ١٩٩٢م: ج٩، ٨٥)

٢- في المستوى التركيبي نرى أسلوب النداء مرّتين:

- نداء الطبيب: أيا من يداوي الناس... (البيت ١)

- نداء حُرّاس [شيراز]: أيا معشر الحُرّاس... (البيت ٤)

٣- في المستوى المعجمي تلفتنا الأمور التالية:

- يشمل المعجم الطبّي مفردات هي الآتية:

الداء، والدواء، والتداوي، ويداوي، والمريض، والعلاج، والشافي.

وهذا المعجم موجود عند الشاعر في سائر قصائده، والسبب مهنته ومعرفته بالطبّ الذي نرى بصماته في إنتاجات الشاعر الشعريّة. وفي المعجم فعل واحد وهو: يداوي. واستعمل الشاعر كلّ هذه المفردات في دلالاتها الأصليّة.

- في حقل المكان يلفت حضور كلمتَي زَندَرُود والعراق (العراق العجمي: أصفهان وكرمانشاه و همدان و قم) كديار للمحبوب. واستعملهما الشاعر في معناهما الحقيقي.

- يشمل معجم الرياح كلمات كالتالي:

النسيم، الصبا، نسيم الصبا، تنسّمتْ

يلفت في المعجم ورود فعل تنسّمتْ وهو بمعنى: هبّت الريح رويداً. واستعمل كلّ هذه

Archive of SID

www.SID.ir

المفردات في معانيها الأصليّة.

۴- في المستوى البلاغي نرى تشبيه الشاعر النسيم بالدواء، وصحبة جيران العراق بالشفاء. (البيت ٣)

و بين قوسين نشير ثانية إلى تأثّر الشاعر الأصفهاني بموسيقى مطلع يائيّة المتنبّي (٣٥۴هـ.ق/ ٩۶۵م) المشهورة في مدح كافور الإخشيدي (٣٥٧هـ.ق/ ٩۶٨م.) وتوظيفه في بيان ما أراد تبيانه. وكان الشاعر معجباً بوزن القصيدة ورويّها إذ نجدهما في سائر أعماله الشعريّة. ويذكّرنا البيت الثالث وذكر نسيم ديار المحبوب فيه بالبيت التالي لسعدي الشيرازي (بين ۶٩١هـ.ق/ ١٢٩٢م و۶٩۵هـ.ق/ ١٢٩۶م) من قصيدة أنشدها بعد سقوط بغداد عام ۶۵۶هـ.ق/ ١٢۵٨م، ورثى بها الخليفة العبّاسي المستعصم بالله:

نسيمُ صبا بغدادَ بعد خرابها تمنّيتُ لو كانت تمرّ على قبري

(سعدي الشيرازي، ص ٧٢٩)

و يؤيّد هذا الرأي قول سعدي الشيرازي بعد بيتين، وهو يشير إلى مرضه ورفضه مداواة الطبيب إذ قال:

زجرتُ طبيباً جَسّ نبضي مداوياً إليك، فما شكوايَ من مرض يَبري

(م.ن.)

ب- هجرالأحباب والتشوّق إليهم

و في المحور الرئيسي الثاني الذي يشمل الأبيات السادس إلى الخامس والعشرين من القصيدة يتكلّم الشاعر على حرمانه من أصدقائه وابتعاده عن أحبّائه في أصفهان ويتشوّق إليهم. وكان الشعور الذي سيطر على الشاعر بعد مفارقتهم هو خيبة الأمل وتغليب التخاذل على الإرادة. والإنسان في مثل هذا الشعور يؤوب إلى ذكرياته السابقة ويتمنّى الرجوع إلى أصحابه و رفاقه. ويشمل هذا المحور محاورَ ثانويّة كالتالي:

Archive of SID

www.SID.ir

- يعيش الشاعر وحيداً بعيداً عن أصدقائه (البيت ٧)

- يُبلغ السلام إليهم (الأبيات ٩-٦)

- يتشوّق إليهم (الأبيات ١٦- ١٠ و٢٥-٢٣)

- يتمنّى الرجوع إليهم (الأبيات ٢١-١٩)

- يشكو من الزمان لأنّه حالَ بينه وبين أصدقائه (البيتان ١٨-١٧)

و أفاد الشاعر، لتبيين هذه المواضيع، من الأساليب الآتية:

١- في المستوى الموسيقي يمكن الإشارة إلى أسلوب التكرار:

- تكرار السلام (الأبيات ٩-٦)

- تكرار صيغ صرفيّة وتراكيب نحويّة في البيت السادس عشر:

فسقياً لعيش قد مضى في وصالكم وتبّـاً لعمر كان في الهجر باقيـا

- تكرار سقاني/ سقاه/ سقانيا (البيت ١٨)

- تكرار الاستفهام (الأبيات ٢١-١٩)

٢- استعمل الشاعر صنعة اللفّ والنشر (البيت ١١) لوظيفة إيقاعيّة.

٣- في المستوى الصرفي نشير إلى صيغة تفعّل في الأفعال الآتية:

توقّدُ، تشوّقتُ، تجرّعتُ، تذكّرتُ

و لـ (التفعّل) معنى الكثرة والتضعيف، ويدلّ استعماله على ظروف الشاعر القاسية. ورأينا استعمال كلمة تنسّمتْ في القسم الرئيسي الأوّل.

٤- في المستوى التركيبي يلفت انتباهنا:

Archive of SID

www.SID.ir

- استعمال أسلوب الاستفهام موضع التمنّي ستّ مرّات: ألا ليت شعري هل يعود الذي مضى؟... (الأبيات ٢١-١٩) وذلك أنّ الشاعر يوجّه سؤاله إلى ما لا يُرجى حصوله لاستحالته، من العودة إلى الماضي، والتلاقي مع الأحبّة، و...؛ وهكذا ينزاح الاستفهام عن دلالته الأصليّة التي وضعت له و هى السؤال للفهم إلى دلالة أخرى و هى التمنّي. وإنّ سرّ التعبير في جمال أسلوب الاستفهام والعُدول إليه عن أسلوب التمنّي تنبيهُ السامع في صورة السؤال ليدعوه إلى البحث عن الجواب حتّى يصل بنفسه ويتحرّك بحركة الوجدان.

- استعمال أسلوب النداء مرّتين: بريدَ الحمى... (البيت ٦)، ألا يا أخلّائي... (البيت ٢٢)

٥- يحتوي معجم هجر الأحباب والتشوّق إليهم مفردات، هي:

الفريـد، الهجر ،كأس الهجر، سليم الهجر، المهاجر، النائي، الوجد، اللوعة، الودّ، الحبّ، الأحباب، نيـران الهوى، الهمّ، حرقة القلب، المهجة، الاشتياق، تشوّقتُ، ذكراكم، الوصال، النوى، زيارتـكم

و للهجر ومشتقّاته دور أساس في المعجم. وفيه فعل واحد هو: تشوّقتُ.

٦- و في المستوى البلاغي تستوقفنا الصور الشعريّة والمحسّنات المعنويّة التالية:

- تشخيص نسيم الصبا: بريدَ الحمى... (البيت ٦) فيطلب منه الشاعر أن يُبلغ سلامه إلى أحبّائه في أصفهان. وقد شبّه الشاعر النسيم بالبريد وحذف المشبّه به وأبقى شيئاً من لوازمه وهو الاتّجاه نحو ديار المحبوب على سبيل الاستعارة المكنيّة.

- تشخيص الزمان في البيتين السابع عشر والثامن عشر:

إلى الـله قد أشكو زماناً معاندا يعاوقني عن نيل أقصى مراديا

سقاني بكأس الهجر ما مُرّ طعمُه سقاه بها الرحمن ما قد سقانيا

فيشكو الشاعر من الزمان، لأنّه هو الذي حالَ بينه وبين وصال أصدقائه، وهو الذي

Archive of SID

www.SID.ir

سقاه شراب الهجر المرّ. وقد شبّه الأصفهاني الهجر بشراب مُرّ فحذف المشبّه به وأبقى شيئاً من لوازمه و هو الكأس على سبيل الاستعارة المكنيّة.

- تشبيه سلامه بسلام إنسان مشتاق تشبيهاً بليغاً: سلامَ اشتياق... (البيت ٧). والمشبّه به (سلام) مصدر مبيّن للنوع.

- تشبيه القلب بشيء احترق تشبيهاً بليغاً: سلاماً أتى عن حرقة القلب حاكيا (البيت ٩)

- تشبيه الهوى بالنار تشبيهاً بليغاً: توقّدُ نيرانُ الهوى... (البيت ١٢)

- تشبيه الدهر بداء الأحباب تشبيهاً بليغاً: غدا الدهر للأحباب داءً... (البيت ٢٢)، فيتمنّى الشاعر الطبيب أن يجد دواء له.

- تشبيه الشاعر و هو مشتاق برؤيتهم بصيّاد يقرب من البحر ليصيد الأسماك تشبيهاً مجملاً: تشوّقتُ في آناء يومي و ليلتي... (البيت ١٣)

- تشبيه عين الشاعر الباكية بكاء شديداً بسحائبَ سوداءَ تُمطر بغزارة تشبيهاً مجملاً: حكت مقلتي سود السحائب... (البيت ١٥). ويلفت في التشبيه استعمال فعل حكتْ كأداة للتشبيه.

- تشبيه الشاعر وهو يسمع ذكر أصدقائه بالذي شرب أقداحاً كثيراً من الخمر وسكر تشبيهَ تمثيل: سمعتُ بذكراكم فصرتُ كأنّني... (البيت ١٤)

- التضادّ في الصريع/السليم (البيت ٢٠)، وللتضادّ هنا وظيفة إيقاعيّة أيضاً.

ج- النُّصّاح والعُذّال

وفي المحور الثالث والأخير من هذا القسم (المقطع) أي الأبيات السادس والعشرين إلى السابع والثلاثين يشير الشاعر إلى نصيحة الناصحين وعَذل العاذلين له ويردّ عليهم ويرفض كلامهم ويطلب منهم ليشاركوه في همّه وحزنه والبكاء على أحبّائه. ويشمل هذا المحور محاور ثانويّة كالتالي:

- استغراب مَن حوله من وجده ولهفه واضطرابه (البيت ٢٦)

Archive of SID

www.SID.ir

- نصيحة أصدقائه الناصحين وردّه عليهم (الأبيات ٣٠-٢٧)

- عَذل العاذلين له ورفض كلامهم (البيتان ٣١ و٣٢)

- الطلب منهم (الناصحين والعاذلين) كي يقفوا إلى جانبه ويسألوا دور الأحبّة عن ساكنيها (البيتان ٣٣و٣٤)

- عتاب الدهر، لأنّه هو السبب في مفارقتهم (البيتان ٣٦ و٣٧)

و لترسيم الأمور الآنفة ذكرها استعمل الأصفهاني الأساليب الآتية:

١- في المستوى الموسيقي نجد الأمور الآتية:

- النبر في البيت السادس والعشرين إذ قال:

و وجدي/ ولهفي/ واضطرابي لما بِـيـا

و لا يوجد رابط موسيقي بين أجزاء المصراع الثلاث، سواء في أجزاء التفعيلات أو حتّى في عدد الأصوات، بيد أنّ الإنسان يسمع فيه إيقاعاً متمايزاً، وذلك من أجل النبر الذي يظهر في قراءة حرف الواو في أوّل التفعيلة الأولى وبداية التفعيلة الثانية ونهايتها.

- تكرار (لا) في:...لا عليّ / لا لِـيـا (البيت ٢٩)

- إيقاع التجنيس في: النُّصّاح/ النُّصح (البيت ٢٩)، العُذّال/ تعذُلونني (البيت ٣١)، بالي/ وبالي/ خالي (البيت ٣٢)، لِـيا/ خوالـيا (البيت ٣٣)

٢- في المستوى الصرفي نرى وزن فُعّال ثلاث مرّات كالتالي:

النُّصّاح، العُذّال، الخُلّان

و رأينا كلمة الحُرّاس في البيت الرابع.

٣- في المستوى التركيبي نجد أسلوب النداء ثلاث مرّات:

Archive of SID

www.SID.ir

- نداء الناصحين: ألا أيّها النُّصّاح... (البيت ٢٩)

- نداء العاذلين: ويا معشر العُذّال... (البيت ٣١)

- نداء الدهر: أيا دهرُ... (البيت ٣٦)

و في جميع هذه الخطابات يعاتب الشاعر المنادى إليهم ويرفض أقوالهم وأفعالهم. ومنهم الدهر الذي شخّصه الشاعر فناداه.

٤- وللنُّصح والعَذل معجم صغير كالآتي:

النُّصّاح، النُّصح، العُذّال، تعذُلونني

٥- في المستوى البلاغي يلفت انتباهَ القاري الآتي:

- تشخيص الدهر (البيت ٣٦). شبّه الشاعر الدهر بإنسان رامٍ يرمي قلبه بالسهام فحذف المشبّه به وذكر بعض لوازمه وهو الرمي بالسهام على سبيل الاستعارة المكنيّة.

- التضادّ بين لي/ عليّ (البيت ٢٩)

- يذكّرنا البيت التاسع والعشرون:

ألا أيّها النّصّاحُ! بالـله ربّكم ذَروا النصحَ عنكم «لا عَلَيَّ ولا لِـيا»

و حضور عبارة: «لا عَلَيَّ ولا لِـيا» فيه بالبيت التالي من قصيدة المؤنسة لمجنون ليلى:

فيا ليتَكم لم تعرفوني وليتني تخلّصتُ منكم لا عَلَيَّ ولالِـيا

(ابن المِبرَد، ص٨٧)

و للتناصّ هنا وظيفتان: وظيفة معنويّة إذ استعمله الشاعر في نفس المعنى الذي استعمله المجنون، ووظيفة أسلوبيّة معجميّة.

- يذكّرنا البيت الثلاثون:

فهل يتسلّى بعدُ قلبي، وما أرى صديقاً شفيقاً بل «عدوّاً مُداجيا»؟

Archive of SID

www.SID.ir

و حضور عبارة:«عدوّاً مُداجيا» فيه بالمتنبّي (٣٥٤ هـ.ق/ ٩٦٥) و قصيدته في مدح كافور (٣٥٧هـ.ق/ ٩٦٨م) إذ قال:

تمنّيتَها لـمّا تمنّيتَ أن تَرى صديقاً فأعيا أو عدوّاً مُداجيا

(المتنبّي،٥٧٨/٢)

كما يذكّرنا بالشريف الرضي (٤٠٦هـ.ق/ ١٠١٥م) وقصيدته في مدح الخليفة الطائعلـله (٣٩٣هـ.ق/ ١٠٠٣م) واستنهاضه في أموره ومعاتبته على تأخيره لاستدعائه، وذلك عندما قال:

وإنّ غريبَ القوم مَن عاش فيهمُ وليس يَرى إلّا عدوّاً مُداجيا

(الشريف الرضي،١٤٠٦هـ.ق: ج٢، ٥٨٨)

و للتناصّ هنا وظيفتان أيضاً: وظيفة معنويّة إذ استعمله الشاعر في نفس المعنى الذي استعمله الشاعران المتنبّي و الشريف الرضي، و وظيفة أسلوبيّة معجميّة.

- وظّف الشاعر أبياتاً من معلّقة امرئالقيس (٧٥ ق.هـ/ ٥٤٥م) المعروفة ليشدّد على حزنه وأساه من مفارقة أحبّته (البيتان ٣٣و٣٦).

و الجدير ذكره أنّ خطاب الأصفهاني إلى صاحبَيه (البيتان ٣٣و٣٤) وخطابه إلى مَن أذاه (البيت ٣٦) يذكّرنا بمعلّقة امرئالقيس المعروفة.

و في ضوء ما تقدّم نودّ أن نشير إلى أنّ لكلّ الثنائيّات الضدّيّة، في المحاور السابقة، طرفاً واحداً يتغيّر، والطرف الآخر هو الثابت وهو الشاعر الأصفهاني المقيم في شيراز والمحروم من أوطانه وإخوانه حين إنشاد القصيدة وهو الذي يأمل في الوصول إلى مُبتغاه أي زيارة أصدقائه وأحبّائه على شاطئ نهر زَندَرودَ في أصفهان.

و أخيراً نعالج القسم الرئيسي الثاني والأخير للقصيدة وهو المديح. وذلك بعد البيت

Archive of SID

www.SID.ir

الثامن والثلاثين (التخلّص) الذي يشكو فيه الشاعر من الدهر إلى الـله، وبذلك ينتقل من النسيب إلى المديح وهو الغرض الأساس للقصيدة.

ثانياً- المديح

و يتشكّل القسم الثاني من القصيدة من عشرة أبيات (الأبيات ٤٨-٣٩). وتدور المعاني في هذه الأبيات حول ثنائيّة الشاعر/ المديح. والمديح هو المهدي المنتظر (عج). ويمدح الشاعر في ثنايا مديح المهدي (عج) سائر أئمّه الشيعة الاثني عشر (ع) من دون ذكر لأسمائهم (الأبيات ٤٢-٤٠). أمّا الشاعر فهو الذي يريد النصر من الإمام (عج) في جميع حاجاته (البيتان ٣٩و٤٧). وأمّا الإمام (عج) فقد وصفه الشاعر بالأوصاف التالية:

- الإمام مدعوّ في كلّ حاجة جهراً وخُفية (البيتان ٣٩و٤٧)
- الإمام عادل: نور سيبُدي الحقّ بالقسط... (البيت ٣٩)
- الإمام مختار من قبل الـله (البيت ٤٠)
- الإمام مرشد (البيتان ٤٠و٤٣)
- الإمام وأنصاره مجاهدون شُجعان (الأبيات ٤٦-٤٤)

واستعان الشاعر، لإبراز هذه المعاني والصفات، من الأساليب الآتية:

١- في المستوى الموسيقي يمكن الإشارة إلى:

- تكرار البنية الصرفيّة كالتالي:

البيت الواحد والأربعون:

بدوراً لأفلاک المعالى لوامعا نجوماً على أوج الكمال دراريا

و البيت الثاني والأربعون:

لِرايات عزّ رافعاً بعد رافع لِأركان مجد بانياً ثمّ بانيا

Archive of SID

www.SID.ir

و البيت الرابع والأربعون:

عن الحقّ بالسُّمر العَوالي مدافعا إلى الـله بالبيض القواطع داعيا

- النبر في البيت الثامن والأربعين إذ قال:

أيا عَلَمَ الإسلامِ / والمجدِ / والعُلا

و يظهر النبر في حرف النداء في صدر البيت، وفي حرف الواو في وسط التفعيلتَين الثالثة والرابعة.

- زحاف الكفّ في مفاعيلن فأصبح مفاعيلُ: هداياتِ (البيت ٤٣)، وهو قليل الاستعمال. وقد كُتب في النسختين: الهداياتي تصدّياً للزحاف.

٢- و في الأبيات الواحد والأربعين إلى الرابع والأربعين يوجد تكرار لتراكيب نحويّة نستشفّ منها إيقاعاً متميّزاً.

٣- في المستوى الصرفي نجد جمع فواعل وفعالل وأمثالهما شائعاً في الأبيات كالآتي:

العوالي(٣ مرّات)، **المعالي، اللوامع، الدراري، القواطع، الكتائب، الأداني، الحواري**

٤- في المستوى التركيبي يمكن الإشاره إلى كثرة الجمل الاسميّة، وقد وردت الأفعال مضارعةً. ويدلّ ذلك على أنّ الشاعر صادق في اعتقاده بقيام المهدي (عج) قريباً.

٥- في المستوى المعجمي هناك حقول، وهي:

- حقل صفات المهدي (عج) وسائر الأئمّة الاثني عشر (ع):

المدعوّ، المرشد، أعلام الدين، الإمام، الحجّه، الأمير، الناهي، المدافع، الداعي، عَلَم الإسلام، (عَلَم) المجد، (عَلَم) العُلا، المهدي، الهـادي

و قد استعمل الشاعر كلمة الأمير بمعنى الآمِر وهو غير المعنى الذي وُضعت له. ويلاحظ

Archive of SID

www.SID.ir

ورود كلمة العَلَم أربع مرّات مضافاً.

- حقل النور والنجوم، وهو المشتقّ من الحقل السابق، لأنّ لمفرداتها علاقة وثيقة بالمهدي (عج) وسائر أئمّة الشيعة الإماميّة (ع):

النور، البدور، الأفلاك، اللوامع، النجوم، الدراري

- حقل الحرب، وهو معجم صغير يشمل المفردات التالية:

السُّمرالعوالي، البيض القواطع، جرّالكتائب

۶- في المستوى البلاغي تجدر الإشارة إلى:

- توصيف الشاعر المهديَّ المنتظر (عج) وأسلافَه، وهم أئمّة الشيعة الاثني عشر (ع)، بكلمات تتناسب مع بعض (مراعاة النظير)، وذلك في البيت الواحد والأربعين:

بدوراً لأفلاک المعالي لوامعا نجوماً على أوج الكمال دراريا

- تشبيه الشاعر أئمّة الشيعة الاثني عشر (ع) بالبدور والنجوم، و تشبيهه المعالي بالأفلاك، الكمال بأعلى السماء (البيت ۴۱)، وذلك على أساس الاستعارة المكنيّة. و كلّ هذه التشبيهات معروفة قديمة.

- تشبيه أنصار المهدي (عج) بصيّادين يصيدون صيدهم - وهو أعداؤهم – بسرعة وسهولة كما تصيد الليوثُ الظباءَ الصغار (البيت ۴۶)، وهو تشبيه التمثيل.

- التضادّ في العوالي/ الأداني (البيت ۴۵)، وللتضادّ هنا وظيفة إيقاعيّة.

- وظّف الشاعر الأصفهاني شعر الشريفالرضي (۴۰۶هـ.ق/ ۱۰۱۵م) في مدح الخليفة العبّاسي الطائع لـلّه (۳۹۳هـ.ق/ ۱۰۰۳م) لمدح ممدوحه و هو المهدي (عج) (البيتان ۴۸و۴۹).

و من نافلة القول ثانية إلى تنصيص شعر الشريف الرضي في مدح الخليفة العبّاسي في

www.SID.ir

البيتَين الأخيرَين من القصيدة. وبذلك ختم الشاعر قصيدته المدحيّة بخطاب المهدي (عج) والتماسه حتّى يقضيَ حاجته، كما عمل في الابتداء بها إذ خاطب الطبيبَ الذي طلب منه أن يتركه مع مرضه، لأنّه مريض بسبب حرمانه من أوطانه وإخوانه وابتعاده عنهم، ولا يداوى هذا المرض إلّا بوصاله إيّاهم. وإنّ المهدي (عج) بات في خيال الطبيب الأصفهاني طبيباً يداوي مرضه ويتحدّي بإرادته وقدرته و حربه كلّ مَن يقف ضدّ الحقّ وهو الدين المحمّدي الحنيف.

وأخيراً، أنشد الشاعر الأصفهاني قصيدته هذه على بحر الطويل، وهو بحر معروف شائع في الشعر العربي. و في قافيتها ألفان: ألفُ الإطلاق في نهاية البيت وبعد رويّ الياء، وألفُ التأسيس قبلها، وقد شاركت الألفان في خلق جوٍّ حافلٍ بالحزن والأسى يتناسب مع حالة الشاعر النفسيّة والتي تسبّبها فراقه من أصدقائه وتأسّفه على حرمانه منهم. وقد تأثّر الشاعر في الموسيقى الخارجيّة للقصيدة من ثلاث قصائد يائيّة، وهي: قصيدة المؤنسة لقيس بن الملوّح المجنون، وقصيدة المتنبّي في مدح كافور الإخشيدي، وقصيدة الشريف‌الرضي في مدح الخليفة العبّاسي الطائع لـله. ورأينا كيف وظّف شاعرنا الطبيب الأصفهاني، في مدحيّته هذه، نصوصاً مستحضرة من هذه القصائد الثلاث لوظائفَ معنويّة وأسلوبيّة.

النتيجة

كانت غايتنا الأساسيّة في هذا البحث الإجابة عن سؤال رئيسي، وهو:

ما هى المميّزات الأسلوبيّة لقصيدة الطبيب الأصفهاني في مدح المهدي المنتظر (عج)؟

فبعد تصحيح القصيدة وتحديد البني الأسلوبيّة فيها، وصلنا إلى نهاية المطاف لعرض نتائج البحث وآفاقه الجديدة.

إنّ أهمّ ما توصّلنا إليه من النتائج في هذا البحث هو:

١- كانت مراسلة (مراسلات) شعريّة عربيّة بين الطبيب الأصفهاني وتلميذه هاتف الأصفهاني، وكانا في فترة من الزمن صاحبَين في أصفهان.

Archive of SID

www.SID.ir

٢- إنّ الأسس الجماليّة للقصيدة تتجلّي في ثلاثة مستويات كالتالي:

١-٢- في المستوى الموسيقي رأينا دور قصائد للمجنون والمتنبّي والشريف الرضي، و تكرار بعض الصيغ الصرفيّة والتراكيب النحويّة، وإيقاع التجنيس والتضادّ، والنبر، واللفّ والنشر في خلق موسيقى داخليّة للقصيدة.

٢-٢- و في المستوى التركيبي لفت نظرَنا الخطابُ والسؤالُ المستمرّان، وكانا متّجهَين إلى الشاعر وغيره. واستعمل الشاعر الاستفهام بمعني التمنّي ستّ مرّات. ورأينا كيف وظّف الشاعر الجملة الاسميّة ليقول: إنّه صادق في عقيدته بقيام المهدي (عج) قريباً.

٣-٢- و في المستوى البلاغي استوقفنا أمران: التصوير المستمرّ للصور الشعريّة: التشبيهيّة والتشخيصيّة والاستعاريّة، و في الأخير ركّز الأصفهاني على الاستعارة المكنيّة. والآخر استعمال التناصّ الشعري بصورة مستمرّة أيضاً. وشاهدنا توظيفَ الشاعر نصوصاً مستحضرة من أشعار امرئ القيس والمجنون والمتنبّي والشريف الرضي لوظائف معنويّة وأسلوبيّة.

التوصيات

أوصي زملائي المختصّين في دراسة الشعر العربي عامّة، و نتاجاته في إيران خاصّة، بالتوجّه إلى شعر الطبيب الأصفهاني حيث لايزال فيه مجال للكتابة، ولم يطبع من شعره إلّا القليل، ممّا يجعل البحث عن مخطوطاته وتحقيقها ودراستها دَيناً عليهم. و في ما يلي إشارة عابرة إلى موضوعَين جديرَين بالبحث:

١. أقترح أن يقوم باحث بدراسة أساليب شعر الأصفهاني الشعريّة إذ إنّ في ذلك مادّة تصلح بحثاً علميّاً.

٢. كانت مراسلة (مراسلات) شعريّة عربيّة بين الشاعرَين الطبيب وهاتف الأصفهانيّين، فيمكن أن تكون هذه المراسلة (المراسلات) موضوعاً لبحث آخر.

Archive of SID

www.SID.ir

المصادر والمراجع

آذربِيگدِلِي، لطفعلي، آتشكده آذر، صحّحه: ميرهاشم محدّث، ط١، إنتشارات أميركبير، طهران، ١٣٧٨ش.

آقابزرگ الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، حقّقه: علي نقي منزوي، ط١، مؤسّسة إسماعيليان، قم، ١٤٠٨هـ.ق.

ابن‌رشيق القيرواني، الحسن، العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، قدّم له وشرحه وفهرسه: صلاح الدين الهواري وهدى عودة، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤١٦هـ.ق/ ١٩٩٦م.

ابن‌المِبرَد، يوسف بن حسن الحنبلي، نُزهة المسامر في أخبار مجنون بني‌عامر، تحقيق: محمّد ألتونجي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤هـ.ق/ ١٩٩٤م.

الأصفهاني، أبوالفرج، الأغاني، شرحه وكتب هوامشه: عبد أ. علي مهنّا، ط٢، دارالكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٢هـ.ق/ ١٩٩٢م.

الأمين، محسن، أعيان الشيعة، حقّقه وأخرجه واستدرك عليه: حسن الأمين، لا طبعة، دارالتعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٦هـ.ق/ ١٩٨٦م.

جُنگ مهدوي (مصوّرة من المخطوطة الموجودة في مكتبة المرحوم أصغر مهدوي)، باهتمام نصرالله پورجوادي، ط١، مركز نشر دانشگاهي، طهران، ١٣٨٠ش.

حريرچي، فيروز، دراسة وجيزة حول أشعار هاتف العربيّة، ط١، ، مكتبة طهوري، طهران ١٩٦٥م.

الدُّنبُلي، عبدالرزّاق بيگ، تجربة الأحرار وتسلية الأبرار، صحّحه: حسن قاضي طباطبائي، ط١، مؤسّسة تاريخ وفرهنگ إيران، تبريز، ١٣٤٩-١٣٥٠ش.

الزُّنوزي، محمّدحسن، بحرالعلوم، لا ناسخ، مكتبة المجلس، طهران، ٢١٨٦، ٢٧٢ ورقة، ٢٦/٥ ×٤١، ٤٥ سطراً.

_____، الكشكول، الناسخ المؤلّف، مكتبة المجلس، طهران، ٧٧٢٧، ٣٢١ ورقة، ٢٢×٣٢، مختلفة السطور.

_____، رياض الجنّة، تحقيق: علي الرفيعي العلامرودشتي وإشراف السيّد محمود المرعشي النجفي، ط١، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي الكبرى، قم، ١٤٣٢هـ.ق/٢٠١١م/١٣٩٠ش.

Archive of SID

www.SID.ir

سعدي الشيرازي، مصلح‌الدين، كلّيّات، تصحيح: جهانگير منصور، ط١، شركة إنتشارات إحياء كتاب، طهران، ١٣٨٤ش.

الشريف‌الرضي، محمّد بن الحسين، الديوان، ط١[مصوّرة]، وزارة الإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤٠٦هـ.ق.

فرصت‌الدولة الشيرازي، محمّد نصير، آثار عجم، ط١، إنتشارات بامداد، طهران، ١٣٦٢ش.

المتنبّي، أحمد بن الحسين، الديوان، شرح: عبدالرحمن البرقوقي وحقّق الشرح عمر فاروق الطباع، لا طبعة، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، د.ت.

مجموعة مخطوطة، الناسخ محمّدحسين بن علي محمّد [١٢٦٦هـ.ق/ ١٨٥٠م]، مكتبة مطهّري (سِپهسالار)، طهران، ٧١٠١، ١٥١ ورقة، ١٤×٢١، ١٠ أسطر.

Archive of SID

www.SID.ir